ا مد لله ربِّ العالمين، نصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لاشريك له، من تولَّاه بولايته كفاه جميع من عداه، ونصره على كل من ناوأه وعاداه: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله وَالله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٣٠الأنفال).

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، القائل عند المُلمّات: (أنا عبدُ الله ورسولُه ولن يُضيّعنى الله عزَّ وجلَّ أبداً). اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك الذى رسمت على لوح فؤاده بمداد من النور: (توجَّه حيث شئت فإنك منصور). صلَّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ومن والاه وصار من حزبه، وعلى جميع أتباعه والناصرين لسنته، والذّابين عن شريعته، والمدافعين عن ملَّته إلى يوم الدين. آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين .

إخوانى جماعة المؤمنين: لا يزال كلام ربِّ العالمين يذكرنا بمنَّة الله عزَّ وجلَّ وإعظامه لخير النبيين فى كل وقتٍ وحين، مبيّناً أن نُصرة الله عزَّ وجلَّ له تغنيه عن جميع الناصرين، وتأييد الله سبحانه وتعالى يغنيه عن كثرة المرافقين، لأن الله تولَّاه بولايته، وأيَّده بنصره وجعله دائماً وأبداً فى كفالة الله وحرزه وصيانته، يذكِّرنا الله عزَّ وجلَّ بذلك لنعى جميعاً أن من تولَّى الله والاه مولاه، ومن اعتصم بالله كفاه الله همَّ كلِّ من عاداه، ومن يتق الله جعل الله له فى كل أمر فرجاً قريباً، بتيسير ولطف الله جلَّ فى علاه، فيقول لنا عن حبيبه ومصطفاه، وهو يخاطب الأولين والآخرين: (إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا) (٤٠التوبة).

ولم يقل إلَّا تنصروه فقد ينصره الله – لأن هذا يعنى أن نصرالله يأتى لاحقاً، لكنه يقول: إلا تنصروه، أو تخذلوه (فقد نصره الله) ـ لأن نصر الله من قبل القبل، فقد نصره الله بصيغة الماضى، نصره الله قبل خلق الكائنات، وقبل ملئ الأرض بالمعمورات، وبمن عليها من سكان، فإن نصر الله يقين ثابت بيبه صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكيف نصر الله حبيبه فى هجرته؟ ـ لأن نصر الله بيبه مستمر طوال بعثته.

نصره عند خروجه من مكة إلى المدينة، ونصره عند دخوله المدينة، فقد خرج من مكة وقد أحاط بالبيت أكثر من أربعين رجلاً مدجّجين بالسلاح، وكانوا يتحدثون ويقولون لبعضهم: إن مُحَمَّداً يزعم أن رسالته ستنتشر وسيكون له جنان كجنان الأردن وبلاد العراق، فخرج عليهم وقال: (نعم أنا أقول هذا)، فلم يسمعوه، ثم أخذ حفنة من التراب وطاف عليهم وهم جلوس، ووضع على رأس كل فارس منهم حفنة من تراب، وخرج من بينهم سالماً غانماً بتاييد الله، ونصرة الله بيبه صلى الله عليه وسلَّم، وظلوا على حالهم حتى جاء قائدهم أبو جهل يمرُّ عليهم، وقال لهم: أين محمدٌ؟، قالوا: فى المنزل. قال لهم : خيَّبكم الله، لقد خرج من بينكم، وما ترك رجلاً منكم إلاّ ووضع على رأسه حفنةً من التراب، وخلع حذاءه وأخذ يقرعهم به تأديباً لهم ـ لأن ا بيب صلى الله عليه وسلمّ خرج من بينهم ولم يشعروا به: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) (٩يس)، فلم يروه ولم يسمعوه.

ثم مشى إلى الغار، وآثاره واضحة، لأنه كان من معجزاته صلى الله عليه وسلَّم أن الكون كله يساعده، فإذا مشى على الرمال تتجمَّد تحت قدمه حتى لا تسيخ قدمه فيها، فلا يرى له أثر على الرمل، وإذا مشى على الصخر يلين تحت قدمه حتى لا يشعر بمشقة، فيترك أثراً لقدمه فى الصخرة الصماء، فتتبعوا آثار أقدامه على جبل ثور حتى وصلوا إلى قمة الغار، فحماه الله من الأبصار

وعندما اقتربوا من الغار، وأراد بعضهم أن ينظر من تحت الغار، قال الصديق الشفيق: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا. قال: يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟!! انظر، فنظر فى مؤخرة الغار، فوجد بحراً متلاطم الأمواج، يقف بساحله سفينة على أكمل أهبّة الإستعداد للسفر، والبحارة عليها جاهزون، فقال صلى الله عليه وسلَّم: (إن جاءوا من هنا خرجنا من هاهنا).

(إلا تنصروه فقد نصره الله) ـ فكان نصر الله بيب الله ومصطفاه، وسلَّمه من جميع أعدائه، حتى خرج من الغار، وفى الطريق ماه من كل عدوٍ، بل جعل العدوَّ له صديقاً، فبعد أن كان سراقة ينافس الريح للحصول على الجائزة بالقبض على ا بيب وعلى رفيقه، تحوَّل بأمر الله إلى صديق!! كلما قابل نفراً من الكفار قال لهم: لا تمشوا فى هذا الطريق فقد كفيتموه، إنى سلكت هذا الطريق كله وليس فيه أثرٌ لحمدٍ – مع أنه الطريق الذى يمشى فيه سيدنا محمد ﷺ، وصدق الإمام البوصيرى رضى الله عنه يقول:

ظنوا ا مام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحمِ

وقاية الله أغنت عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الإطمِ

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من إرمِ

فوقاية الله كفته صلَّى الله عليه وسلَّم مكر كل أعدائه بأمر الله .

ثم كان إعجاز الله لنبيّه ومصطفاه، لأنه أراد ان يدخله المدينة دخول الفاتحين المنصورين الظافرين، فقبل دخوله المدينة بحوالى خمسة كيلومترات، خرجت قبيلة أسلم وعلى رأسهم قائدهم بريدة بن ا ُصيب الأسلمى، وهم سبعون رجلاً وقالوا نذهب ونأخذ هذا الرجل، وننال الجائزة مائة جمل، فلما وصلوا إلى حضرة النبى وصحبه إعترضهم بريدة وقال: من الرجل؟، قال: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم – ولم ينكر ذاته الشريفة، ولم يغيّر ـ ثم قال صلى الله عليه وسلَّم: ومن أنت؟ قال: بريدة الأسلمى، فقال صلى الله عليه وسلَّم: سلمت يا أبا بكر. يا بريدة أما آن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟!!.

(أَفَمَنْ شَرَحَ الله صَدْرَهُ لِلاسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) (٢٢الزمر)

فشرح الله صدره للإسلام، ثم التفت إلى من معه وقال لهم: ما ترون؟، قالوا: نحن معك، فأسلموا أجمعون، ثم قال بريدة: يا رسول الله، أتدخل المدينة هكذا؟، قال: نعم، قال بريدة: لا والله لا يكون أبداً، فخلع عمامته، وجعلها علماً أبيضَ على رأس رمحه [راية]، وصفَّ رجاله صَفَّين، صَفّاً على اليمين، وصَفّاً على اليسار، وسار فى المقدمة رافعاً علمه، وقال: يا رسول الله تقدَّم فسِر بين الصفين، فهذا مكانك كما أمر ربُّ العالمين.

قوّة تشريفية إلهيّة أرسلها ربُّ البرية – حرس إلهى – ليدخل النبى المدينة ومخايل النصر تظهر فى جبينه الوضَّاح فى كل البطاح وكل البقاع. وكانت ثيابه قد أصابها شيئٌ من السفر، لأن السفر إستغرق أسبوعاً، وإذا بالزبير بن العوّام، وطلحة الخير بن عبيد الله، كانا فى تجارة إلى بلاد الشام ومعهما ملا بس بيضاء نقيَّة لا تليق إلا بالملوك، فقابلوا ا بيب صلى الله عليه وسلَّم، فقالوا: يا رسول الله، أتدخل المدينة هكذا؟!!، لا والله لا يكون هذا أبداً، معنا ملابس اشتريناها ممن يبيعونها لملوك عُمان، وملوك حضرموت، فتفضَّل يا رسول الله ثوبين فالبسهما، فلبس صلى الله عليه وسلَّم ملابس الملوك، ومشى فى حراسة ملك الملوك متجملاً بقول الله: (إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله) (٤٠التوبة).

أين يسكن؟!!، وأين ينزل؟!!. تنافس الأنصار، وكل واحد منهم يريد أن ينزل الرسول عنده فى داره، وما علموا أن الله عزَّ وجلَّ قد ملّك للنبى صلى الله عليه وسلَّم بيتاً فى المدينة، منذ ثلاثمائة عام، بحُجَّةٍ موثَّقة!!.

فقد خرج تُبّع ملك اليمن بجندٍ لا قبل لها غازياً المدينة ـ قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلَّم بثلاثمائة عام ـ ولما أحاط جنده بالمدينة، وكان قد سبقه اليهود إليها، لأنهم يعلمون أنها موضع هجرة النبيّ الذى سيبعث فى آخر الزمان – خرج إليه أحبار اليهود وقالوا: أعزَّ الله الملك، إنك لن تستطيع أن تفتح هذه المدينة. قال: ولِمَ؟، قالوا: لأنها عندنا فى كتبنا مبعث نبيٍّ يبعثه الله فى آخر الزمان، ويختم الله عزَّ وجلَّ به الأنبياء أجمعين.

وكان يصحب معه أربعين عالماً يستشيرهم فى خواص أموره فاستشارهم، فأيدوهم فى هذا الكلام، فبنى لكل عالم بيتاً وزوَّجه جارية، وأعطاه من النفقات ما يكفيه، وجعل لكل عالم منهم بيتاً من طابق واحد، وجعل لزعيمهم بيتاً من طابقين، وأسكنه فيه وأعطاه خطاباً مختوماً إلى حضرة النبيِّ وقال له: هذا بيته بنيته له، وعند هجرة النبى يكون ملكاً له، وكتب وثيقة وقال فيها أبياتاً تشهد بأنه أسلم حضرة النبى.

ولما وصل النبى صلى الله عليه وسلَّم إلى موضع مسجده المبارك، وأناخت ناقته بأمر الله، لأنه كان يقول لهم: (دعوها فإنها مأمورة)[1] – وجاء الأنصار يتهافتون على حمل متاعه إلى دورهم، وجاء أبو أيّوب النصارى، وقال أنا أقربهم داراً، قال صلى الله عليه وسلَّم: لك ذلك يا أبا أيوب، ولما دخل البيت واستقر فيه، قال: يا أبا أيوب، أين خطاب تُبع؟. فأخرج الخطاب من خزانة يحفظه فيها عن أجداده منذ ثلاثمائة عام، وفي الوثيقة يقول:

شـهدت على أحمد أنه رسولٌ من الله بارى النَّسم

فإن مُدّ عمرى إل عمره لكنت نصيراً له وابن عم

وجالدت بالسيف أعداءه وفرَّجت عن صدره كلَّ غمّ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: (أول من آمن بى تُبّع. يرحم الله تُبعاً، يبعث أمة وحده)[2]. فسكن فى بيته الذى بناه له تُبع بأمر ربّه، ولم يسكن بيت أحدٍ بناه له من الخلق، لأنه كان فى كفالة الحق، ولا يزال تصيبه عناية الحق، قال ﷺ: (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[3]، وقال صلى الله عليه وسلَّم: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيَّة)[4]. أو كما قال، (ادعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، له طلاقة القدرة فى كل وقتٍ وحين، يغفر لمن يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، إنفرد بالعظمة والجبروت، ومطلق التصرّف فى الملك والملكوت، وجميع الصفات الرحيمة والنعوت. سبحانه .. سبحانه، لايحيطون بشيءٍ من علمه إلاّ بما شاء. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، العبد الذى تولَّاه مولاه، ووالاه بعنايته، وخصَّه بتأييده، ونصره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على خير النبيين، وإمام المرسلين، وصاحب الملَّة المباركة والشريعة النقيَّة إلى يوم الدين، وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من دعا بدعوته إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين.

إخوانى جماعة المؤمنين : إن النصر فى كل زمان ومكان بيد النصير عزَّ وجلَّ:

(وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (١٢٦آل عمران).

فإن شئنا أن ينصرنا الله كما نصر حبيبه ومصطفاه على أعدائه، وعلى الخلافات التى بين بعضنا، والتى إنتشرت فى مجتمعنا،

[1] سيرة ابن هشام، وابن عدي في الكامل عن عبد الله بن عمر، وأخرجه البيهقي عن أنس ﷺ.

[2] السيرة النبوية للامام أبي الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق مصطفى عبدالواحد الجزء الاول بلفظ: (لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم). قال السهيلى : وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (لاتسبوا أسعد الحميرى فإنه أول من كسى الكعبة).

[3] البخاري ومسلم وغيرهما عن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ).

[4] مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

علينا أن ننتصر أولاً على أنفسنا ونجعلها على شرع الله، قائمةً بكتاب الله، متابعة هدى حبيب الله ومصطفاه، وهنا لا تقف أمامنا أية عائقة أو عقبة فى الأرض ولا فى السماء، لأن النصر قال لنا فيه الله:

(إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (٧محمد).

فكيف ننصر الله؟!!. ننصر شرعه بأن نجعله هو القائم بيننا، وهو المهيمن على شئون حياتنا، وهو المسيطر على أخلاقنا وسلوكنا، وهو الدستور الذى ننفذه فيما بيننا. فإذا نصرنا الله وشرع الله، وأقمنا حياتنا فى بيوتنا على شرع الله، وأحوالنا فى مجتمعنا على هدى كتاب الله وسنة حبيبه ومصطفاه، فلن تقف أمامنا أى قوة وإن عظمت.

(كَتَبَ اللهُ لاغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٢١المجادلة)

متى؟!!، إذا كنا على منهاج الله، وإذا كنا على شرع الله.

<< الدعاء >> والختام ....

****